تغير اللغة العربية بين الإعلام الحكومي والإعلام الخاص

في القنوات التلفزيونية العربية ومظاهر العولمة الغربية في هذه القنوات

Ali Alkosibati

Universitas Damaskus

ali.alkosibati@gmail.com

مستخلص البحث

لقد تعرضت اللغة العربية لحملات شرسة أرادت محوها واقتلاعها من جذورها؛ كحركة "التتريك" في أواخر العهد العثماني، وكذلك فرض اللغات الأجنبية (الإنكليزية والفرنسية) خلال عهد الاستعمار الأوربي للدول العربية بعد خروج الدولة العثمانية، ومع ذلك صمدت اللغة العربية بهمة أبنائها والتفافهم حولها. وفي هذا العصر يَكمن الخوف الأكبر في تقاعس أبناء هذه اللغة عن التصدي لظاهرة الانحلال اللغوي بالميل نحو اللغة العامية في وسائل الإعلام والاستسلام لهذه الظاهرة، بل ترويجها والدعوة إليها. وقد ساهمت القنوات التلفزيونية الحكومية في البلاد العربية، وقنوات الإعلام الخاص، في تشكيل تهديدا تجاه اللغة العربية باستخدامها اللغة العامية ونشرها فلسفة اللبرالية الغربية باعتبارها النموذج الأرقى لأسلوب الحياة الإنسانية إثر العولمة الغربية.

الكلمة المفتاحية: اللغة العربية – الإعلام – القنوات التلفزيونية – العولمة الغربية.

1. التمهيد

لم تكن اللغة العربية يوما من الأيام مادةً جامدة أو كيانًا هامداً لا يقبل الاستمرار والتجديد، بل إنها أشبه ما يكون بالكائن الحي الذي ينمو ويتطور ويتعرّض من حين إلى آخر للانكسار والمرض ثم التعافي والنهوض من جديد، فلقد تعرضت اللغة العربية لحملات شرسة أرادت محوها واقتلاعها من جذورها؛ كحركة "التتريك" في أواخر العهد العثماني وذلك بفرض اللغة التركية على البلاد العربية لغة رسمية للدولة والتعليم والمجتمع، وكذلك فرض اللغات الأجنبية (الإنكليزية والفرنسية) خلال عهد الاستعمار الأوربي للدول العربية بعد خروج الدولة العثمانية، ومع ذلك صمدت اللغة العربية بهمة أبنائها والتفافهم حولها، كالأبناء يكتنفون أمهم ويحفظونها، فاللغة هي الهوية والتاريخ والحضارة لكل أمة من أمم. [1]

وفي هذا العصر يَكمن الخوف الأكبر في تقاعس أبناء هذه اللغة عن التصدي لظاهرة الانحلال اللغوي بالميل نحو اللغة العامية في وسائل الإعلام والاستسلام لهذه الظاهرة، بل ترويجها والدعوة إليها.

وقد أفضى بنا التقدم الحاصل في مجال الاتصال، إلى تحصيل نتائج ذات بعدين: الأول إيجابي والثاني سلبي، أما الأول فيتمثل في: نجاح وسائل الإعلام، وقدرتها على إيصال الخبر بسرعة، الشيء الذي يجعل المتلقي أكثر اندماجا وعلما بما يحيط بمجتمعه، بل ليس في حدود أخبار مجتمعه فحسب، إنما أخبار العالم، كما أن الصورة تجعل الخبر واضحا ومستوعبا من قبل جميع فئات المجتمع، بل أكثر قد أصبحت بعض الأجهزة كالتلفاز والهواتف المحمولة والحواسيب تجمع بين الصوت والصورة، مما يزيد من نسبة التفاعل، وتمكن كل فرد من الاطلاع على كل أنوع الأخبار حيث تعددت الجرائد الإلكترونية وتنوعت تطبيقات الهواتف الذكية، وصرنا نجد استعمال وسائل التواصل بديلا عن الكتابة باليد أو الصوت.

والبعد الثاني: سلبي تمثل في جلب الظلم للغة العربية، وجعلها لغة ثانوية ومصحوبة بالأخطاء، لكن ما ينبغي التنبيه عليه هو خطورة هذا التطور وأثره في المتلقي، صحيح أن وسائل الإعلام قد قربت البعيد، وجعلت العالم أشبه ما يكون بقرية صغيرة ولكن أضاعت عليه لغته الأم إلى حد كبير، وأفسدت اللغة العربية الفصحى التي حاول علماء هذه الأمة ومجامعها اللغوية الحفاظ عليها وتجديدها منذ مطلع

[1] – ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ج: 3. ص 576.

القرن العشرين أيام الاستعمار، بهمة عالية وخدمات كبيرة، وبقيت هذه المجامع تحاول الحفاظ عليها خصوصاً لما كانت أجهزة الإعلام حكومية رسمية في غالبها، تسير تحت قوانين تضعها الحكومات العربية التي اهتمت واعتنت باللغة العربية الفصحى منذ مطلع القرن الماضي بناء على مشروعها القومي العربي، وخصوصا في أجهزة التلفاز والإذاعة، وبعد أن افتتحت قنوات التلفاز الخاصة اختلفت الأمور وتغير المنحى جذرياً.

2. تحديد مشكلة البحث

وسيكون الحديث خلال هذه الورقة عن تغيّر استخدام اللغة العربية بين الفصحى والعامية في التلفاز بين القنوات التلفزيونية الحكومية في البلاد العربية، وقنوات الإعلام الخاص، وأثر العولمة الغربية ومظاهرها في هذا النوع من الإعلام.

3. مضمون البحث

3.1 تاريخ ظهور التلفاز العالمي، وظهور القنوات التلفزيونية العربية:[2]

يعود تاريخ اختراع التلفاز إلى عام 1884 عندما اخترع الألماني بول نبكو paul Nipkow"" هذا الجهاز. وتعتبر بريطانيا هي أول دولة في العالم قدمت خدمة البث التلفزيوني المنتظم في عام 1936، من خلال هيئة الإذاعة البريطانية BBC التي تعتبر أيضاً أولى مؤسسات التلفاز التي تقدم التصوير والبث الحي من خارج محطات التلفزة.

أ. قنوات التلفاز العربية الحكومية:

ظهرت قنوات التلفاز في البلاد العربية عن طريق مؤسسات الإعلام الحكومية الرسمية، ويعتبر تلفزيون العراق أول تلفزيون عربي بدأ إرساله التلفزيوني الأول عام 1954، ثم جاء بعده التلفاز الجزائري مباشرة، ثم تأسس التلفاز الرسمي في سوريا بالتزامن مع شقيقه التلفاز المصري، وقد انطلقا معاً في زمن

[2] –انظر مقالة تاريخ التلفزيون. موسوعة ويكيبيديا العالمية. تاريخ الاسترجاع: 2020/5/23.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%84%D9%81%D8%B2%D9%8A%D9%88%D9%86

الوحدة بين مصر وسورية في يوم واحد، هو 23 (يوليو) 1960، ثم توالى بعد ذلك ظهور محطات التلفزة العربية الرسمية.

وتعتبر شركة التلفاز اللبنانية أول قنوات التلفاز في المنطقة العربية بثت إرسالها بلغتين: العربية والفرنسية، وقد تأسست في العام 1961.

ب. ظهور قنوات التلفاز العربية في القطاع الخاص:[3]

تعتبر لبنان أول دولة عربية ظهرت فيها القنوات التلفزيونية الخاصة، وهي قناة LBC في العام 1985 التابعة لحزب القوات اللبنانية، ثم ظهر بعده تلفزيون الشرق الأوسط MBC في العام 1991، الذي كان يبث إرساله من لندن، وتلفزيون الشرق الأوسط أول قناة عربية فضائية مستقلة، وفي فترة التسعينات ظهرت بكثرة القنوات الفضائية العربية الخاصة بالإضافة إلى الفضائيات والقنوات الحكومية.

ج. عدد القنوات التي تبث باللغة العربية وأنواعها:[4]

كشف التقرير الذي أصدره اتحاد إذاعات الدول العربية في العام 2014 عن وجود نحو 1300 قناة تلفزيونية فضائية موجهة إلى المنطقة العربية منها:

- 165 قناة من القطاع الحكومي.
- 1129 قناة من القطاع الخاص.

كما كشف التقرير عن أنواع وأعداد القنوات المتخصصة، فجاءت في المرتبة الأولى:

1- القنوات الرياضية بمجموع 170 قناة.

2- قنوات الدّراما من أفلام ومسلسلات في المرتبة الثانية بمجموع 152 قناة

[3] – انظر مقالة تاريخ الفضائيات العربية. موسوعة ويكيبيديا العالمية. تاريخ الاسترجاع: 2020/5/23.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B6%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9#%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9

[4] – صحيفة العرب المستقلة، لندن. العدد 9845. (2015/3/3).

3 – القنوات الغنائية المختصة ببث الكليبات وبرامج المنوعات والسهرات الغنائية في المرتبة الثالثة بمجموع 124 قناة.

4–القنوات الدينية، في المرتبة الرابعة بمجموع 95 قناة.

5–القنوات الإخبارية في المرتبة الخامسة بعدد 68 قناة.

كما أشار التقرير إلى وجود 237 قناة تبث بلغات أجنبية بالإضافة إلى اللغة العربية

3.2 لغة القنوات الحكومية التلفزيونية:[5]

التزمت القنوات التلفزيونية الحكومية باللغة العربية الفصحى غالباً في جميع برامجها، وذلك لكون غالب الحكومات العربية منذ بداية عهد الاستقلال 1945 جعلت اللغة العربية أساس مشروعها القومي الذي يدعو إلى الوحدة، فأصدرت هذه الدول تشريعات قانونية تلزم وسائل الإعلام بالالتزام العربية الفصحى والابتعاد عن استعمال اللغات العامية والأجنبية، ومن ذلك المرسوم التشريعي رقم 139 تاريخ 1952/11/6– الذي أصدره رئيس الدولة السورية، وكذلك قرارات مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة بالمحافظة على اللغة الفصحى وبإعداد العاملين في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة إعداداً صوتياً ولغوياً، وكذلك توصيات جامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتعليم.

وقد أسست لجنة حكومية في سوريا تعنى بتطبيق ذلك سميت "لجنة تمكين اللغة العربية" تعمل تحت إشراف مجمع اللغة العربية بدمشق

وبهذا فقد حافظت القنوات التلفزيونية الحكومية إلى حد كبير على سلامة اللغة العربية في أغلب أنواع برامجها، الحوارية والإخبارية على اختلاف في هذا المستوى اللغوي بين دولة وأخرى، عدا مسلسلات الدراما العربية والسينما فقد كانت تعرض باللغة العامية.

3.3 لغة القنوات التلفزيونية العربية في القطاع الخاص:[6]

[5] – لغتنا العربية بين مجامع اللغة ووسائل الإعلام. مكي الحسني. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. العدد: 3. للعام (1 يوليو 1990). ص–ص: 540–543.

[6] – اللغة العربية والإعلام المرئي والمسموع. عبد الكريم الأشتر. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. العدد: 4. (1 أكتوبر 1999).

جاءت فترة التسعينات من القرن الماضي وما بعدها حاملة معها الانفجار الكبير في ظهور القنوات التلفزيونية العربية من الشركات والقطاع الخاص، وكان هناك ردة فعل من الإعلام الخاص على كسر تقاليد وأشكال الإعلام الحكومي في الدول العربية الذي كرهه الناس بسبب التزامه بسياسة هذه الدول وتمجيد حكامها وملوكها والتغني بأمجادهم المصطنعة، فقام هذا الإعلام الخاص بتقديم كل ما هو جديد لجذب المشاهد العربي وكسر جميع العادات والأعراف التي التزم بها التلفزيون الحكومي

وكانت اللغة الفصحى ضحية هذا التحول؛ لكونها اقترنت بشكليات التلفزيون الرسمي في الدول، فقامت أكثر هذه القنوات على اختلاف تخصصاتها بعرض برامجها بالخلط بين الفصحى والعامية وببعض الألفاظ الأجنبية؛ لجذب المشاهد العربي، خصوصا في القنوات الرياضية والغنائية والدرامية، وبقيت القنوات الإخبارية والوثائقية والدينية منها ملتزمة باللغة الفصحى.

3.4 التداخل بين اللغة الفصيحة والعامية في القنوات التلفزيونية الخاصة: [7]

وهو تداخل ليس بريئاً أو عفوياً، بل هو مقصود والهدف منه عزل اللغة العربية الفصيحة، وإحلال العاميات محلها؛ كما هو واضح في الخطاب الإعلامي اليوم وترسيخ العامية الدارجة، ولأن الإعلام التلفزيوني أكثر المنظومات الإعلامية التصاقاً بالجمهور والواقع فإن كل التركيز يقع على قنواته ووسائطه للنيل من اللسان الفصيح؛ لذلك صار نصيب الفصحى يتقلص شيئاً فشيئاً، وصار كثير من محطات هذا الإعلام يروج لفكرة أن العربية لا تتلاءم مع برامج الحياة اليومية، كأن العربية لغة تفارق الواقع الحي الذي يعيشه الناس؛ لهذا يحاول قسم من الإعلام الخاص أن يبثّ الإيهام والخداع بكون لغة الواقع (اللغة العامية) هي التي يجب أن تغدو اللغة الرسمية، وهذا معناه جعلها لغةً تعليميةً أولاً، ثم لغةً إبداعيةً ينتج بها الفكر ثانياً.

3.5 مظاهر الضعف في استعمال اللغة العربية في القنوات التلفزيونية:

– ثنائية اللغة وذلك باستخدام العامية في المقالات والإعلانات، وفي تقديم البرامج التلفزيونية والإذاعية.

[7] – إدواردي العياشي. مجلة الفيصل السعودية. النسخة الالكترونية. تاريخ الاسترجاج: 2020/9/22.
https://www.alfaisalmag.com/?p=85

- شيوع الأخطاء النحوية في العربية الفصحى المستخدمة في هذه الوسائل.

- كثرة استخدام المفردات الأعجمية في الخطاب الموجه إلى الملتقي العربي.

- الميل إلى خطاب اللغة العامية لجذب المشاهد وإلغاء الفصحى تدريجياً.

3.6 مظاهر العولمة في القنوات التلفزيونية في القطاع الخاص:[8]

استطاعت وسائل الإعلام عامة والقنوات الفضائية خاصة إلغاء الحدود الجغرافية بين عقول الناس وأشخاصهم وبلداهم، فقربت المسافات وسهلت امكانية الحصول على المعلومات من أي مكان، وتجميعها وتخزينها وبثها بشكل فوري متخطية قيود الوقت والمسافة، وقد تمثلت هذه المبتكرات في قنوات التلفزة الفضائية من خلال الأقمار الصناعية، فكانت في هذه الفضائيات عدة مظاهر للعولمة منها:

أ. زيادة الاتجاه نحو الإعلام المتخصص وعدم مركزية الاتصال التي تعتمد على تقديم رسائل متعددة، تخاطب الحاجات الفردية الضيقة والجماعات المتجانسة بدلاً من الرسائل الموحدة التي تخاطب الجماهير الغفيرة.

ب. فقدان الحكومات الوطنية لاحتكار البث التلفزيوني الذي يتلقاه مواطنوها، مما جعل بعض الحكومات تعيد هيكلة نظم الإعلام من خلال فتح المجال أمام تأسيس خدمات اتصال إلكترونية غير حكومية لتعزيز القدرة على المنافسة في السوق الإعلامية والدولية.

ج. تركيز مصادر الأخبار الدولية بيد المؤسسات الاخبارية العملاقة التي تحقق أقصى استفادة من تكنولوجيا الاتصال المتطورة وعولمة الأسواق العالمية، وهذا يعني أن التدفق الاخباري الحالي لا يزال معتمداً على التركيز والهيمنة بدلاً من التعددية والتنوع، وبالتالي التبعية الإعلامية لدول العالم الثالث مازالت قائمة.

د. تراجع شبكات التلفزة الوطنية لصالح الشبكات الدولية، مما أدى إلى تجانس الأخبار، حيث غالباً ما تعتمد وكالات الأنباء على بعضها البعض في تبادل الأخبار في شكل تحالفات دولية كما هو الحال في التحالفات بين تلفزيون رويترز وشبكات روبرت مردوخ الدولية، وكذلك الطابع التجاري الذي

[8] – ينظر: الإعلام والعولمة. شعيب عبد الفتاح. مجلة الرياض. العدد: 13362. (23 يناير 2005).

تعمل من خلاله وكالات الأنباء الدولية، كذلك تقوم هذه المصادر الدولية الكبرى بترتيب أولويات الجمهور في مختلف أنحاء العالم نحو القضايا الدولية، من خلال انتقاء الصور والأصوات والأحداث وصناعة الحروب والأزمات الدولية.

هـ. تراجع وسائل الإعلام المطبوعة، وبالتالي ضعف ثقافة القراءة في مقابل زيادة تأثير ثقافة الصورة والمشهد، وهذا يوضح طبيعة العولمة الثقافية تنشط حركتها وتتوسع في ظل تصاعد الثقافة المرئية، وتراجع للثقافة المكتوبة، وهذه هي ثقافة العولمة، هي ثقافة ما بعد المكتوب، فالكتابة ليست من أدوات أو آليات انتشار العولمة.

ز. معلومات أكثر، ومعرفة أقل؛ لأن ثورة المعلومات لا تعني بالضرورة ثورة المعرفة؛ لأن المعلومات شيء والمعرفة شيء آخر، وإن تحول المعلومات إلى معرفة تطلب من المتلقي القدة على الربط والتحليل للوصول إلى الفهم الصحيح في استخلاص المعنى، وهذا ليس متوافراً لدى الشعوب العربية؛ فيسهل بذلك التلاعب في عقول هذه الشعوب وقيادتها من الخارج، وهذا ما حصل في الثورات العربية.

3.7 تهديد قنوات الإعلام التلفزيوني الخاصة للغتنا العربية الفصحى:[9]

وذلك بين واضح من خلال الإقصاء والتهميش المستمر للغة الفصحى مقابل تغليب العامية في برامج وحوارات القنوات التلفزيونية، وهذا له تأثير كبير على لغة الناس بمظاهر شتى منها:

أ. انسحاب اللغة الفصحى من حياتنا اليومية بسبب التأثير الكبير لأجهزة التلفزة.

ب. التأثير الكبير في إفساد لغة الأجيال الجديدة المتعلقة والمتأثرة في هذا الإعلام.

ج. إعلاء شأن اللغات الأجنبية كالإنكليزية على أنها لغة عالمية، في مقابل تقليل شأن اللغة الفصحى بأنها لغة تراثية لا دور لها اليوم.

[9] – المخاطر السلبية للعولمة الإعلامية. هاني جرجس عياد. صحيفة اليوسف المصرية. النسخة الإلكترونية. تاريخ الاسترجاع 2020/5/22. https://www.rosaelyoussef.com/38410/%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%ae%d8%a7%d8%b7%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%b3%d9%84%d8%a8%d9%8a%d8%a9-%d9%84%d9%84%d8%b9%d9%88%d9%84%d9%85%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%b9%d9%84%d8%a7%d9%85%d9%8a%d8%a9

د. التبشير بالفلسفة الليبرالية الغربية باعتبارها النموذج الأرقى لأسلوب الحياة الإنسانية، وفي ذلك محو تدريجي لثقافة الأمة تبدأ خطواته من إقصاء اللغة العربية.

3.8 أساليب النّهوض باللغة العربية الفصحى في قنوات الإعلام التلفزيونية وكيفيّة تطويرها حسب قرارات مجمع اللغة العربية:[10]

أ. دعوة القائمين على الإعلام والصّحافة للعمل على تعميم العربية الفصحى كلغة أساسية لجميع وسائل الإعلام العربية.

ب. إدراج مادة قواعد اللّغة العربية وعلم الدلالات في المقرّر الدراسي لكلّيات الإعلام.

ج. إصدار قواميس تتعلّق بالخصوصيات اللّغوية لكل المؤسسات الإعلامية.

د. تفعيل التعاون بين أقسام اللُّغة العربيَّة في الجامعات من ناحية، والهيئات الرسمية للدولة ووسائل الإعلام من ناحية ثانية.

هـ. تنظيم مهنة المصّححين اللّغويين للمقالات الصّحفية وإنشاء نقابة خاصة بهم

4. المراجع

حمزة الجبالي. **اللغة الإعلامية مفهومها وواقعها**. دار الشروق. القاهرة

فارس طباش. (1 يناير 2010). **العامية والفصحى لدى جمهور الإذاعة الجزائرية**. مجلة التبيين. الجزائر. العدد: 34.

مسعود بوبو. (1 أكتوبر 1999). **لغة الإعلام في وسائل الإعلام**. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. العدد: 4. ص: 397.

حسام الدين الخطيب. (1يناير 1984). **لغة الثقافة ولغة الإعلام**. مجلة الآداب. بيروت لبنان. العدد الأول.

[10] – النسخة الالكترونية لمجلة مركز البحوث والانماء، بيروت، تاريخ الاسترجاع: 2020/5/22: http://www.crdp.org/mag-description?id=10821

حسن علي محمد. **لغة الإعلام العربي المعاصر**. دار الفجر. القاهرة.

إدواردي العياشي. **مجلة الفيصل السعودية**. النسخة الالكترونية.

الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.

مجلة مركز البحوث والانماء، بيروت، النسخة الالكترونية.

هاني جرجس عياد. **المخاطر السلبية للعولمة الإعلامية**. صحيفة اليوسف المصرية. النسخة الإلكترونية.

مجلة الرياض السعودية. العدد: 13362 (23 يناير 2005).

صحيفة العرب المستقلة، لندن. العدد 9845. (2015/3/3).